الفلسفة السريانية

لقد اشتغلت هذه الامة بالفلسفة وحفظ لنا التاريخ اسماء الكثيرين من رجالها الافاضل الذين تفوقوا على قومهم بالعلم والادب واودعوا ما جادت به قرائحهم بطون كتب ما يزح معظمها محفوظاً في المتحف البريطاني يشهد بسعة اطلاعهم ومضاء اذهانهم على ان اشتغالهم بالفلسفة كان متقسراً منها على الفلسفة المشائية التي ازدهت كثيراً بين الساطرة واليعاقبة منذ القرن السادس المسيحي حتى القرن التاسع وهي التي اعدت الطريق لظهور الفلسفة العربية

وقد دخلت الفلسفة المشائية مدرسة الرها (اورفا) حوالي اواسط القرن الخامس - حملها الساطرة اليها وكانت علوم السريان وآدابهم من قبل دينية بحتاً الى ان جاء الساطرة سوريا عقيب مجمع افسس فحملوا اليها معهم معارف اليونان لاسيما فلسفة ارسطو المعلم الاكبر استاذ المنطق وواضعه ولا يخفى على دارس التاريخ ما كان من شأن هذه الامة مع الكنيسة الشرقية في القسطنطينية يوم شجبت تعاليمها كيف انفصلت عنها واستقلت وذلك ما حمل توابع السريان على درس المنطق وانصرافهم بكليتهم اليه ليذودوا به عن بيضة معتقدهم ولا غروَ فالمنطق افضل ذريعة لتعزيز الجدل الديني وكل بحث فيما وراء الطبيعة ومن ثمَّ جعلت الفلسفة المشائية تزداد عند السريان رسوخاً وانتشاراً ويقبل عليها الطلبة اقبالاً عظيماً من كل فج عميق لاسيما بعد ان اخذت يد الحدثان على مدرسة الرها وقام على اثرها المدرستان الشهيرتان اعني بهما مدرسة نصيبين ومدرسة جنديسابور اللتان صارتا لسوريا وبلاد فارس فرقدي الفلسفة والطب وقد كان لعلماء السريان عند الفرس الشأن العظيم والمقام الرفيع حتى دعيت مدرسة الرها بمدرسة الفرس وحتى ان اللغتين اليونانية والسريانية كانتا لغة العلم في الدولة الساسانية

وظلت بلاد فارس الزمن الطويل ملاذاً لاهل العلم من اليونان والسريان فاليونان اتخذوها ملجأ حين امر الامبراطور يوستيانوس بابعادهم عن مواطنهم والساطرة يمموها فراراً من مكايد التعصب الذميم وعما لقوه من الرومان عقيب تباين الراي في العقيدة ولهذا السبب صارت قصور الاكاسرة محط رحال العلم والفلسفة وتبارت فيها هم اساطين الادب فوضعوا الكتب وترجموا مؤلفات ارسطو وافلاطون . ومن انفس الآثار السريانية في بلاد فارس رسالة مختصرة في المنطق سريانية النقة قدمها عالم سرياني لكسرى لم تزل محفوظة حتى اليوم في المتحف البريطاني والرسالة ذات مقدمة طويلة تحسب من الطراز الاول في اسلوبها وحسن

نسقها بين مؤلفات تلك الامة وقد اقتطف بنامنها شذرة نثبت منها لمعة دلالة على اتكل قال صاحبها: " ابى السعيد كسرى ملك ملوك وافضل الناس من عبدويوشع سلام . اني بتقدمتي اليك هدية نفسية لم اكُ بالقائل شيئاً غير اني قدمت اليك ثماراً جنيتها من جنات ملكك كما يقدمون لله تعالى فصحايا متخذة من بين مخلوقاته وبالحقيقة ان الفلسفة افضل جميع الهدايا ويصدق عنها ماقيل عن لسانها ثري خير من الذهب ومن الابريز وشلي خير من الفضة (امثال سليمان ص ٨ ع ١٩) وهي عين العقل كما ان عين الجسم بسبب ملاءمتها للنور تنظر الاشياء الخارجية كذلك عين النفس بسبب ملاءمتها للنور العقلي الذي في اتكل تنظر النور الذي في اتكل كما قال الحكيم : الحكيم عيناهُ في رأسهِ اما الجاهل فيسلك في الظلام (الجامعة ص ٢ ع ١٤) وان الاعمال السفلية اضد الاعمال العالية كلها نقراً واعلاها فضلاً وكذلك النفس المثقفة بالعلوم والتجلية بالآداب تعلو وتسمو على كل النفوس غير المثقفة علو النفس عن الجسد والموجود العاقل عن غير العاقل والحي عن الجماد . وبما ان تهذيب النفس يكون بالعلم فالعلم على قسمين قسم يسعى اليهِ الانسان من نفسهِ فيجدهُ وقسم يحصل دليهِ بواسطة التعليم والتعليم قسمان قسم يتداولهُ الناس وقسم ينزل اليهم بواسطة الرسل . على ان التعليم بذاتهِ ليس كافياً للعلم حيث يجد ثمت الاختلاف في الرأي والتباين في المذهب بين الاساتذة وجهابذة العلم يرى فريقاً منهم يقول بوجود الله واحد وفريقاً يقول بتعدد الالهة وآخر ينكر الوجود الالهي ومنهم من يقول بقدرة الله على كل شيء ومنهم من يقول انهُ لا يستطيع عمل كل الاشياء معاً ومنهم من يقول ان العالم محدث وبعضهم يقول انهُ قديم ليس لهُ ابتداء وقس على ما ذكرت ما لم اذكرهُ من المسائل التي يتفرق تعداد اوجه الخلاف فيها المؤلفات الكبيرة على ان السبب في وقوع الخلاف في القضايا العلمية ان العلم غير الايمان وموضوعهُ ابداً الاشياء المنظورة والمتابلة للامتحان ومن خصائص البحث فيهِ مصاحبة الريب خلافاً للايمان الذي موضوعاتهُ الاشياء غير المنظورة والتي لا تصحب الريب في ابحاثها ولا تعرف الشك بتاتاً " الخ اه

وفي القرنين السادس والسابع من التاريخ المسيحي توطدت اركان العلم عند السريان ونبغ منهم عدد من الكتبة المجيدين ومعظمهم من جملة دعاة الدين من البطارقة والمطارنة وكانهم ترجموا كتب ارسطو وشرحوها شرحاً وافياً على ان عدداً كبيراً من تلك المؤلفات لعبت بهِ ايدي الدهر فلم يبقَ منها الاَّ الشيء القليل محفوظاً في المتحف البريطاني . واملخ اولئك الشراح والمفسرين لكتب ارسطو فيلبون ونقولا الدمشقي ولم يصل الينا من مؤلفاتهم العلمية وما ترجموهُ الاَّ ما كان مأخوذاً عن ارسطو وقف قليلة عزوها الى افلاطون ونسبتها اليهِ غير

موثوق بها واجمله القول انه لم يكن عندهم من المذاهب الفلسفية اليونانية الاَّ المشائية وما عرفوا من سواها غير اسماء زعمائها ومكنهم من العلم واليونان

ومن امعن النظر في تاريخ الفلسفة السريانية يرى ان لهذه الامة فضلاً كبيراً على العلم بايصال الفلسفة اليونانية والطب وسائر العلوم الى العرب فانها كانت حائدة على الدولة الرومانية تتربص لها الاحايين لتمزق من طاعتها فيدفعها الضعف حتى اتاح الله لها دخول الفاتحين من العرب فرحبت بهم وخطبت مودتهم واظهرت لهم من التساهل الديني والاخلاص في الخدمة ما اكتسبت به ميلهم وحبهم وقد انبأنا التاريخ بما كان من تقرب الامويين للسريان وبما كان لهم من المنزلة عندهم لمعرفتهم الطب وبراعتهم فيه وبما حصل لهم ايام العباسيين من الحظوة والمقام الرفيع لاسيما في خلافة المأمون فتلك الحظوة وذلك المقام دفع اولئك الافراد من السريان والنساطرة كابن سرابيون واسحق بن سنين وابن بختيشوع وغيرهم الى ان يخلصوا في الخدمة فينشروا العلم اليوناني والفلسفة اليونانية بين العرب

وما كان شأن السريان في تاريخ الفلسفة الاَّ انهم حفظوا الفلسفة اليونانية او بالحري الفلسفة المشائية من الضياع واوصلوها الى العرب فبقيت هنالك في حرز حريز الى ان انقشعت سحب الجهالة عن اوربا فأمّت تلك الربوع واقامت بها على الرحب والسعة

وحبذا لو قام من ابناء السريان من يثبت لنا بالدليل ان اسلافهُ وسعوا مباحث الفلسفة وزادوا فيها زيادة تذكر لئلاَّ يكونوا مثل اكثر الشرقيين اهل تقليد لا اهل ابتكار

م . ع

احتضارات

رأيت ان اضيف على ما نشرهُ حضرة الاستاذ عيسى افندي معلوف الاحتضارات التالية

كان يوليوس قيصر من اعاظم قياصرة الرومان تآمر عليهِ كبراء رومية واتفقوا على قتلهِ حسداً منهُ وخوفاً من ان يستأثر بالملك ويعمل على اذلال الرومانيين وكان بينهم بروتس صديقهُ الحميم الذي رقاهُ قيصر الى ارفع منزلة . ففي ذات يوم اغروهُ بالقدوم الى المحكمة وما استقر بهِ المقام حتى اوصدوا الابواب واطبقوا عليهِ بالسيوف والخناجر . فدافع عن نفسهِ طويلاً دفاع الابطال ولكنهُ لما رأى بروتس صديقهُ الحميم يهجم عليهِ ويبدو خنجر ليطعنهُ بهِ احزنهُ نكرانهُ للجميل فقال لهُ مبكتاً "أوانت ايضاً يا بروتس ؟" وعندئذ توقف